

التغيير Micro Steps Change Process

بخطوات ناعمة

زياد شبلي

مصطلح جديد على البعض ولكنه اليق عند البعض الاخر، التغيير المايكروبي او التغيير بخطوات ناعمة متناهية الصغر، ما المقصود بهذا الكلام؟

يقال ان من لم يستفد من ماضيه لم يعيش حاضره ولا يبني مستقبله، ولديكم جميعا سادتي الافاضل كم من المعلومات وكم من المصادر يمكنكم العودة اليها – ان أحببتكم- لتقارنوا احداث التاريخ بموضوع التغيير، الانقلابات، الثورات وغيرها من الطرق التي استخدمتها الأمم والشعوب لتغيير من حال الى حال، غالبا ما رافق التغيير الكثير من التثوهات أدى الى تباطؤ العجلة التقدمية وأحيانا الى توقفها وفي حالة العراق كانت العودة الى الوراء.

مثال ما بعد ٢٠٠٣، مثال حاضر بأذهان الاغلب من العراقيين كونهم شهدوا المراحل الكثيرة التي افرزتها هذه الحقبة ولكن لو نظرنا اليها بمنظور أكثر دقة لوجدناها حقيقة هي مرحلة واحدة (فوضى) هذا هو التعبير الذي يقترن كثيرا الى ذهني لقراءة المشهد، ولا بأس ان تختلفوا معي في هذه الجزئية فهي ليست الغرض الأساسي من هذا المقال.

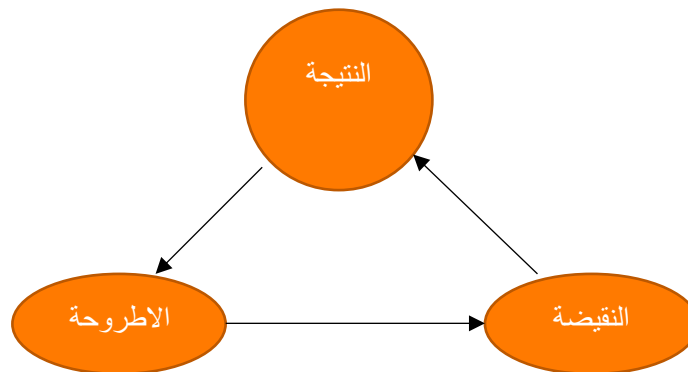
هذه التقدمة البسيطة الكلمات التي تحدثت عن مرحلة مليئة بالأحداث اثبتت لنا مما لا يجعل مجالاً للشك ان العراق قد عانى من التغيير المفاجئ، فنتيجة الفيلسوف هيغل بالتحول التاريخي (الجدلية) من الأطروحة (Thesis) الى النقيض (Antithesis) لم يتحقق بعد ٢٠٠٣ والى الان.

"يرى هيغل ان الشعوب تتغير بثلاث مراحل (الأطروحة: وفيها يكن اللا-قانون والحرية المطلقة (الفوضى) ثم يتحول الى النقيضة وهي المرحلة الثانية Antithesis وهو اللا-حرية وقوة الدولة والقانون ومن ثم تأتي المرحلة الثالثة النتيجة Synthesis وفيها يكون مزيج الإيجابيات للمرحلتين السابقتين (حرية مصيري في الأولى وسلطة القانون في الثانية) وعليه تكون الثالثة هي الحريات المنظمة والمحمية بالقانون" هذه الجزء من نظرية جدلية وفلسفة التاريخ عند هيغل هو الذي يخص المقال.

للمزيد مراجعة

قصة الفلسفة لول ديورانت

عالم صوفي جوستن غرودر



هذا التحول المفاجئ كما يصفه هيغل في المراحل الثلاثة لم ينطبق على العراق، وارى هنا ان النظرية التي تؤدي الى التغيير الجذري السريع هو لعب خطير بالعقل الجمعي واستنزاف كبير لموارد الأرض والبشر قد تؤدي الى كوارث اذا لم تكن هناك خطط بديلة من ا الى ي حتى وان كان على منهج هيغل انه تغيير على مراحل ثلاثة ولكن هذه الانتقالات مخيفة وخطرة.

نحن نمر اليوم بمرحلة عصبية وكما اشرت الى بعض ملامحها في مقالتي السابق لسنا متأخرين تماما Never Too Late استكمل هنا الفكرة التي ناقشني بها بعض الاخوة بعد نشرها على موقع الحوار المتمدن.

الكثير من الاخوة فاتهم أني لم اُك في ذلك المقال احشو كلاما لأجل املاء الصفحات – رغم ان المقال كان قصيرا - ولم اُك أتكلم بمحور واحد ولكن الفكرة عموما استطيع ان اسميها منظومة للتغيير لا ادعي انها كاملة او مناسبة ولكنها محاولة ارجو ممن يقرأها ان يصحح لي او يساعدني فالهدف هو واحد.

محور الفكرة في المقال السابق كانت عن التنظير العلمي العملي، العراق يجب ان يكون براغماتيا (البرغماتية: تعتبر الكلمات والفكر كأدوات وأدوات للتنبؤ وحل المشكلات والعمل، وترفض فكرة أن وظيفة الفكر هي وصف الواقع أو تمثيله أو عكسه...وليم جيمس) بالتعاطي مع مختلف القضايا التي تمر عليه او يمر عليها، من يريد ان يبني امة يجب ان يتوقف فورا عن التقليد او الاستعارة او الانتصار - بفهم او دون فهم - لتجارب غيره من الشعوب والدول حتى وان كانت ناجحة، فعلم الاجتماع يعلمنا ان المجتمعات لا تتطابق ولا تتشابه في الظروف فلا يجوز ان نستعير تجربة تنجح في مكان ما ونحاول ان ننسخها ونسقطها على واقعا.

وما ادعو نخبنا وشبابنا اليه اليوم هو انشاء منظومة فكرية عراقية نابعة من مجتمعنا فكما أطلق عليه دارجا (المنظر الحسجة)، يعني من رحم المجتمع وليس متصومعا خلف اسوار معينة، ولا يجب الخوف من المحاولات، البدايات دائما صعبة ومخيفة، ولكن لا بد ان نكتب قدرنا بايدينا، جميع التجارب التي في العراق حاليا (من اليمين الأقصى الى اليسار الأقصى) لا طعنا ولا انتقاصا من منظومة فكرية معينة لم تحقق لنا ذات، او كيان معرفي منهجي او نتاج مادي واقعي.

ولكني فضلت ان ابدأ اليوم بفكرة هذا المقال Micro Change التغيير المايكرو، لسبب التخوف نفسه، فالبدايات والمحاولات دائما صعبة، ولكن مع مبدأ التغيير المايكرو (متناهي الصغر) من الممكن ان نرسم سياسة استراتيجية للعراق على المستوى الاقتصادي والمستوى المؤسساتي.

التغيير المايكرو سوف يكون عبر خطوات بسيطة غير محسوسة نوعا ما تؤدي الى مقبولية بين الناس البسيطة والمتقفة، فمن الممكن ان يكون تبنيتها سهلا وسريعا، وعليها سوف يكون التغيير على شكل منحى الدالة الاسية ولكن بتدرجات بسيطة جدا حسب عدد اويلر او (e).

(عذرا لذكر بعض المصطلحات هنا، انا اتقصد ان اجعل الامر بسيطا قدر الإمكان ولكن بعض المصطلحات تختير الكثير من الكلام، ارجوكم ان تبحثوا عن المصطلحات الغريبة عنكم لكي يكتمل المعنى.)

هذا التغيير يجب ان يوافق السياسة الاستراتيجية المرسومة للبلد، وحينما نتحدث عن الاستراتيجيات فنحن نتحدث عن مدة زمنية تتراوح من ٢٥ الى ١٠٠ سنة، وهذه الفترات في عمر الشعوب تعتبر لا شيء، لا يجب ان ننظر للتغيير من منظار اعمارنا كمييار لمدى التغيير والتطور والتقدم، نحن نفكر بمنظومة عراقية ذات أساس متين للأجيال التالية، فكرة الفردية لا ادعو الى ذوبانها او الى سحقها بل لا بد ان يكون ضمن التغيير الاستراتيجي بعض التغييرات المرحلية السريعة التي تحقق نوعا من التوازن في المجتمع لكي نحافظ على نفس المطولة، ولكن على شرط ان لا يكون التغيير الفردي المرحلي السريع متقاطعا مع التغيير المايكرو الاستراتيجي.

ان كلامي غير واضح او غير مفهوما، فالمقالات التالية سوف توضح لدى حضراتكم الفكرة أكثر.